العبادات في الديانة الهندوسيّة: دراسة في الأصول والتطورات الطقوسية

[1] م.م. حسام الدين محمد سلمان *
[1] قسم مقارنة الأديان، كلية العلوم الإسلامية، الجامعة العراقية (العراق)

Worship in Hindu Religion: Study in Origins and Ritual Developments

[1]Husam Al-Din Mohamad Salman*
[1] https://orcid.org/0009-0003-6583-0435
[1]College of Islamic Sciences, University of Iraq (Iraq), husamaldeen.m.salman@aliraqia.edu.iq

تاريخ الاستلام: 29 / 08 /2024 تاريخ القبول: 04 / 11 / 2024 تاريخ النشر: 01 / 12 / 2024

الملخص:

تعد الديانة الهندوسيّة واحدة من أقدم الديانات في العالم، وتتميّز بتنوّعها الواسع في المعُتقدات والطقوس والشعائر والعبادات. وتُشكّل العبادات ركيزة أساسيّة لهذهِ الديانة، حيث تعكس التصوّر الهندوسي عن الكون والإنسان والمؤلّه المعبود والمقدس في مُعتقدهم.

أمّا إشكاليّة البحث الرئيسة، فهي: تنوّع العبادات في الهندوسيّة تنوعًا كبيرًا بين المذاهب والطبقات الاجتماعيّة، ممّا يجعل من الصعب تحديد ممارسات عبادة موحدة. تطوّرت العبادات الهندوسيّة على مر العصور، وتأثرت بالعديد من العوامل الثقافيّة والاجتماعيّة والسياسيّة، ممّا يجعل فهمها يتطلّب دراسة تاريخيّة مُتعمّقة. ترتبط العبادات الهندوسيّة ارتباطًا وثيقًا بالفلسفة الهندوسيّة والمعتقدات الروحيّة، ممّا يجعل دراستها تتطلّب فهمًا عميقًا لهذه الجوانب.

أما بخصوص المنهجية، فاتبع الباحث المنهج التاريخي: لدراسة تطوّر العبادات عبر الزمن، والمنهج التحليلي: لدراسة وتحليل هذه العبادات والعلاقة بين العبادات والتنظيم الاجتماعي، ودورها في تحقيق التماسك الاجتماعي.

أما أهم النتائج، فهي كما يأتي: فهم أعمق للديانة الهندوسيّة، حيث أنَّ العبادات تعد جزءًا أساسيًّا من هذا الدين القديم. وإلقاء الضوء على التنوع الثقافي والديني في الهند، حيث أنَّ الديانة الهندوسيّة هي الديانة الأكثر انتشارًا في بلاد الهند.

أما أهم التوصيات، فهي كما يأتي: ضرورة التعاون بين الباحثين من مختلف التخصصات؛ لدراسة ظاهرة معقدة مثل العبادات الهندوسيّة وتطوّر طقوسها عبر الزمن. وأهمية إجراء الدراسات الميدانيّة؛ لملاحظة الممارسات التعبديّة بشكلٍ مباشر وفهم سياقها الثقافي والاجتماعي.

كلمات مفتاحية: العبادات.، الديانة.، الهندوسيّة.، الأصول.، التطورات.، الطقوس.

Abstract:

Hinduism is one of the oldest religions in the world, and is characterized by its wide diversity of beliefs, rituals, rites and worship. Worship is a fundamental pillar of this religion, as it reflects the Hindu perception of the universe, man, and the deity worshiped and sacred in their belief. The research problem is represented by

* المؤلف المرسل.
* Corresponding author.

the diversity of worship in Hinduism, a great diversity between sects and social classes, which makes it difficult to determine unified worship practices. Hindu worship has evolved over the ages, and has been influenced by many cultural, social and political factors, which makes understanding it require an in-depth historical study. Hindu worship is closely linked to Hindu philosophy and spiritual beliefs, which makes studying it require a deep understanding of these aspects. We have reached results that represent a deeper understanding of the Hindu religion, as worship is an essential part of this ancient religion, shedding light on the cultural and religious diversity in India, as the Hindu religion is The most widespread religion in India, deepening the dialogue between religions and cultures through a better understanding of Hindu worship, recommendations, the need for cooperation between researchers from different disciplines; to study a complex phenomenon such as Hindu worship and the development of its rituals over time, the importance of conducting field studies; to directly observe devotional practices and understand their cultural and social context.

Keywords: worship; religion; Hinduism; origins; developments; rituals.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

للعبادات في الديانة الهندوسيّة مكانة كبيرة وقدسية عظيمة، فهي تؤثّر أعمق الأثر في معتنقي هذه الديانة. يعكس هذا البحث طبيعة العبادات الهندوسيّة التي تمتد عبر آلاف السنين وتتنوع بتنوع الأقاليم والثقافات الهندية. كما يشير إلى عمق هذه العبادات وتأثيرها العميق على حياة المؤمنين.

فالعبادات الهندوسية، شأنها شأن الهندوسية نفسها، هي رحلة ممتدة عبر الزمان والمكان. بدءًا من طقوس كتاب (الفيدا) وصولاً إلى الاحتفالات في المعابد الحديثة، تتنوّع العبادات الهندوسيّة بتنوّع الثقافات والأقاليم الهنديّة.

يهدف هذا البحث إلى استكشاف هذا التنوع، وكشف الستار عن الجذور التاريخيّة والفلسفيّة للعبادات الهندوسيّة.

كما يسعى البحث إلى فهم كيف تتفاعل هذه العبادات مع الحياة اليوميّة للمؤمنين بها، وكيف تتكيّف مع التغيّرات الاجتماعيّة والثقافيّة.

من خلال الجمع بين الدراسات التاريخيّة والفلسفيّة، يسعى هذا البحث إلى تقديم صورة شاملة عن العبادات في الديانة الهندوسيّة، وتسليط الضوء على أهميتها في تشكيل الهوية الهندوسيّة.

مشكلة البحث وأسئلته:

1- ما أهم الملامح المميّزة للعبادات الهندوسيّة؟
2- كيف أثّرت هذه العبادات على معتنقي هذه الديانة عبر الزمن؟
3- ما دور العبادات في تحقيق الوحدة مع الكون حسب المُعتقد الهندوسي؟

أهمية البحث:

1- من خلال استكشاف عمق العبادات الهندوسية، وكشف الستار عن الجوانب الفلسفيّة والاجتماعيّة والثقافيّة التي تشكّلها.

2- يسعى البحث إلى فهم كيف تتفاعل هذه العبادات مع الحياة اليوميّة للمؤمن الهندوسي.

أهداف البحث:

1- استكشاف التنوع الهائل في العبادات الهندوسيّة، من الطقوس البسيطة إلى الاحتفالات المُعقّدة.

2- تتبع جذور العبادات الهندوسيّة في النصوص المُقدّسة والتقاليد الشفهيّة.

3- دراسة كيف تتجسّد العبادات في الحياة اليومية للمؤمنين الهندوس.

4- بيان أثر العبادات الهندوسية القديمة بالحديثة، وتأثير التغيرات الاجتماعية والثقافية على هذه العبادات.

منهج البحث:

1- المنهج التاريخي: من خلال دراسة تطور العبادات الهندوسيّة عبر العصور.

2- المنهج التحليلي: دراسة هذه العبادات من خلال بيان تفسير وتحليل أثر هذه العبادات في المُجتمع الهندوسي.

المبحث الأول

الصلاةُ في الديانة الهندوسيّة

تعد الصلاة في الأديان هي حلقة الوصل بين العبد وربّه؛ إذ تخاطب الإنسان أو توجّهه إلى ربّه عن طريقها، وقد عُرفت الصلاة منذ فجر التاريخ، وتختلف في طريقتها وعدد مرّاتها وأحكامها من ديانةٍ إلى أخرى.

ومن أهم العبادات عند الهندوس الصلاة، والصلاة عندهم شعيرة عامة أقرب معناها في لغتنا العربية هي (الدعاء)، وتشتمل على أذكار وتسابيح وابتهالات ودعوات[1].

وذكر البيروني[2] رحمه الله أنَّهم يغتسلون كل يوم ثلاث مرّات في سندِ الطلوع وهو الفجر، وفي سندِ الغروب وهو الشفق، وفي نصف النهار بينهما، حتى يكون طاهرًا من كلِّ نجاسة استعدادًا للصّلاة[3].

ويبدو أنَّ للصلاة عندهم أركانًا لا تتم إلا بها، هي الاستحمام، وارتداء الثيّاب النظيفة ذات اللون الأصفر أو الأبيض، هذا مع غسل الأيدي والأفواه بالماءِ المُعطّر[4]، وأثناء بدء الصلاة هناك هيئة تخص كل من الرجلِ والمرأة، فالرجل يجلسُ مُتربّعًا، والمرأة تجلس على ركبتيها[5].

ليس في الهندوسيّة صلاة جماعة؛ فالصلاة كلها فرديّة وهي ثلاثة أنواع: صلاة برفقةِ الكاهن، واتباع ترانيمه، وصلاة برفقتهِ دون اتباع الترانيم، وصلاة فرديّة محضة[6].

والصلاة لديهم تسبيح وسجود ويتّجهون نحو الشمس أينما كانت[7].

ومن طقوس الصلوات المُهمّة في الهندوسيّةِ، طقس الصلاة المُتجسّدة التي تكثر فيها القرابين؛ ليتسامى صاحبها إلى مرتبةِ الألوهيّة التي يبتغيها كل هندوسي، وتكون الرحلة بعد التقشّفات والأصوام والتناسخات الكثيرة. وهي تعد من أهم الشعائر في الهندوسيّةِ[8].

والشمس هي قِبلة الهندوس أينما كانت يتّجهونَ نحوها لأداءِ صلواتهم، والصّلاة عندهم تسبيح وتمجيد وسجود[9]، وتؤدّى مرّتين في اليوم: في الصباح يؤدّيها الفرد وهو واقف على قدميهِ من انبلاج الفجر حتّى مطلع الشمس، وصلاة في المساء يؤدّيها وهو جالس، ويعتقدون أنَّ صلاة الصباح تُذهب كلّ ذنوب المساء، وصلاة المساء تُذهب كلّ ذنوب النهار وصلواتهم كلها تسبيح وتمجيد وسجود للآلهة التي يُقدّسونها[10].

والصلاة في المعابدِ تؤدى على الشكلِ الآتي:

"يتلو الكاهن تعاويذه التقليديّة، وبعدها يركع الشخص تحت قدمي الصنم متضرّعًا... ثم يتلو الكاهن الأدعيّة التقليديّة مرّة أخرى... كل طبقة لها وضع خاص في الأدعيّة التي يتلوها الكاهن... في الختام يتلو الكاهن دعاءً مخصوصًا... يُصلّي الشّخص ثم يرشُّ الماء ثم يخرج"[11].

وبعد البحث والدراسة في موضوع الصلاة عند الهندوس يتبيّن أنَّ للصلاة أهمّيةً كبيرةً عند الهندوس، وسنوضّح أهميتها كما يأتي:

1- **التواصل مع الإله المُقدّس عندهم:** تُعدّ الصلاة أهم وسيلة للتواصل مع الإله الذي يُقدّسونه ويبجّلونه ويعظّمونه والتعبير عن الإيمان والتفاني في مُعتقدهم.
2- **غسل الذنوب والآثام والخطايا:** يُعتقد الهندوس أنَّ الصلاة تغسل الخطايا وتُطهّر الرّوح من كلِ الذنوب والآثام.
3- **تحقيق الرّغبات والأُمنيّات:** يُمارس بعض الهندوس الصلاة لتحقيقِ رغباتٍ مُحدّدة لاعتقادهم أنَّ منْ يصلي سيحصل على رغباتٍ مُعيّنة كان يتمنى تحقيقها.
4- **الشعور بالطمأنينة والسلام:** تُساعد الصلاة حسب مُعتقد الهندوس على الشعور بالطمأنينة والسلام الداخلي والسكينة والراحة النفسيّة.

وبعد البحث والدراسة في موضوع الصلاة الهندوسيّة تبيّن أنَّ التنوع في الطقوس يعد من التطورات الطقوسية، حيث لا يوجد طقوس صلاة واحدة موحدة في الهندوسيّة، حيث تختلف الطقوس باختلاف الطوائف والمذاهب الهندوسيّة. بعض الطقوس بسيطة وتتم في المنزل، بينما البعض الآخر مُعقدة وتتطلب وجود كهنة هندوس.

ويتضح ممّا سبق: أنَّ الصلاة الهندوسيّة هي ممارسة روحانية عميقة، تتطور وتتغير مع مرور الوقت. على الرغم من التنوع في الطقوس والممارسات، إلا أن الهدف الأساسي من الصلاة يبقى هو نفسه: تحقيق الاتحاد مع القوة الإلهية العظمى حسب المعتقد الهندوسي.

المبحث الثاني

الصوم في الديانة الهندوسيّة

لقد أدرك علماء الهندوس أنَّ الصوم هو أفضل وسيلة لتعديلِ النفس وقهرها، وكسر حدّة الشهوة الحيوانيّة، وإضعاف القوّى الجسمانيّة. فأوجبوا الصيام على رجالِ الدين والنُّساك والزُّهاد، وللصومِ طرق كثيرة، منها: ترك الطعام والشّراب ليلًا ونهارًا بدون إفطارٍ لأيامٍ غير محدودة، ومنها: اجتناب الغلات دون الماء واللبن بقدرِ الحاجة، ومنها: أنْ يأكلوا أيامًا في الظهيرةِ فقط، ومنها: أنْ يأكلوا بعد غروب الشمس مرّة واحدة فقط[12].

ووجدت جماعات من الزُّهاد والنُّساك الهندوسيين في الغاباتِ وعلى الجبالِ وهم يصومون ولا يفطرون إلا بنباتٍ خاص يعصر في فمهم فيبقون على قيدِ الحياةِ شبه الميت، ولا يزالون على هذهِ الحالة حتى يموتوا[13].

فالصوم الهندوسي أنواع يختلف كل نوع بحسبِ مقدار المدّة، وبحسبِ صورة الفعل، فأما الأمر المتوسط الذي بهِ تحصل شريطة الصوم فهو أنْ يُعين الصائم فيه، ويضمر اسمًا يتقرّب بهِ إليه، على أنْ يبدأ الصوم، من ظهرِ اليوم السابق إلى شروقِ شمس اليوم التّالي، أو إلى الظهر منه على أنْ يُعلن اسمًا يصام لأجله في يوم الصيام نفسه مع الإكثار من الاغتسال[14].

ويُمارس الهندوس أنواعًا من الأصوام التقشّفية مثل الامتناع عن الأكلِ والشربِ لأيامٍ عديدة، أو رياضة الصمت لمدّةٍ طويلة أو الامتناع عن الجماعِ وبرضى الطرفين. وهناك أيضًا أنواع أخرى من الأصوام يختارها الهندوسي المؤمن في حياتهِ وأكثرها شيوعًا هو الصوم الذي يبدأ بغروبِ الشمس وينتهي بغياب الشفق الأحمر من اليوم التالي[15].

ويُعد الصوم رُكنًا مُهمًّا في ديانات الشعوب القديمة والمُعاصرة، فقد مارسته شعوب الحضارات القديمة، كما نجده منتشرًا بين القبائل البدائيّة المُنعزلة، وظلَّ يحتل ركنًا أساسيًّا في الشرائعِ الإلهية كذلك. ويستطيع الدارس للأديان قديمها وحديثها أنْ يتبيّن له أنَّ الصّوم قديم قدم الظاهرة الدينيّة ذاتها[16].

والصيام في الهندوسيّة من جوانب تهذيب النفس البشريّة واختبار طاعة المؤمنين لإلههم وضوابط عقيدتهم، فأنواع الصيام كلها عندهم تطوّع ونوافِل، وليس منها شيء مفروض، والصوم عندهم إمساك عن الطعامِ لمدّةٍ مُعيّنة[17].

وأما عامّة الناس فعندهم أيام الصوم محدودة مثل أنْ يُعين الشخص لنفسه أنْ يصوم يوم كذا واليوم العاشر والحادي عشر من كلِ شهر قمري، وأيام مولد (كرشنا)[18] ووقت كسوف الشمس والقمر، ويوم النصر على أعدائهم وليس واجبًا عليهم، وإنما هو من التطوّع[19].

ويذكر البيروني رحمه الله: أنَّه في مُعتقدهم إذا واصلَ الصائم صوم جميع الشهور ولم يفطر في السنة إلا اثنتي عشرة مرّة، مكثَ في الجنّةِ عشرة آلاف سنة، وعاد منها إلى أهلِ بيتهِ ذي شرف ورفعة[20].

ويلاحظ أنَّ للصوم مكانة كبيرة عند الهندوس، حيث كانوا يمارسون الصوم لأسباب مختلفة، منها:

1- **التقرّب من الإله:** يُعتقد أنّ الصوم يُطهّر الجسد والروح ويُقرب المُمارس من المؤلّه المعبود المُعظم لديهم.
2- **التكفير عن الذنوب:** يُمارس بعض الهندوس الصوم للتكفير عن ذنوبهم، حيث يعتقد الهندوسي أنَّ الصوم يُكفّر عن آثامهم.
3- **الأمل في تحقيق الرّغبات:** يُمارس بعض الهندوس الصوم لتحقيق رغبات مُحدّدة، مثل الشفاء من مرض أو النجاح في الدراسة وغيرها.
4- **التحكّم بالنفس:** يُساعد الصوم عند الهندوس على تعلّم التحكّم بالنفس والرّغبات الجسديّة.
5- **الصحة:** يُعتقد أنَّ الصوم حسب الفكر الهندوسي له العديد من الفوائد الصحيّة، مثل تحسين عمليّة الهضم وتقويّة جهاز المناعة وغيرها.

وبعد البحث في موضوع الصوم الهندوسي يتضح وجود أقدم الإشارات إلى الصوم في النصوص الفيدية المقدسة. فالفيدا تحث على الصوم كجزء من الطقوس التضحية وتطهير النفس.

ويعد التنوع في الممارسات من التطورات الطقوسية في الصوم الهندوسي، حيث تختلف ممارسات الصوم في الهندوسية باختلاف الطوائف والمذاهب. فبعض الطوائف تصوم يومًا كاملًا، بينما يقتصر صوم طوائف أخرى على أوقات محددة من اليوم أو على أنواع معينة من الطعام.

وختامًا يعد الصوم في الديانة الهندوسية ممارسة روحانية عميقة ذات جذور تاريخية قديمة. فهو ليس مُجرد نظام غذائي، بل هو وسيلة لتحقيق النمو الروحي والتواصل مع القوة الإلهية. على الرغم من التنوع في الممارسات الطقوسية، إلا أن الهدف الأساسي من الصوم يبقى هو نفسه: تطهير النفس والارتقاء الروحي لكل فرد هندوسي.

المبحث الثالث

الصدقة في الديانة الهندوسيّة

إنَّ الصّدقة مفهوم ديني تؤكّده الكثير من الأديانِ، وهي ما يُعطى للمُحتاج على وجه التقرّب إلى الإله المعبود. وتكمنُ هذهِ الفضيلة في حبّ الله تعالى وحبّ القرابين حبًّا بالله عز وجل[21].

وتُعد الصدقة واجبًا دينيًّا عند الهندوسيّين، فالصّدقة عندهم واجبة كلّ يوم بما أمكن[22]، وهذا الوجوب ليس بدافع البرّ والمواساة والرفق والعطف، ولكن من باب الأريحيّة والسّخاء، وذلك لسد حاجاتِ الفُقراء والمساكين والمُحتاجين، فليست فرضًا تشريعيًّا على الهندوس[23]، ولكنها حالة رضا يشعر بها الهندوسي بالصدقة على الفُقراءِ والمساكين والكهنة المُتجرّدين الذين لا يعملون ولا يفعلون شيئًا في حياتهم سوى الصلاة والصوم والتعبّد للآلهةِ المُقدّسةِ لديهم[24].

ولكنَّهم حصروا الذين ينالون الصّدقات والإعانات في طبقةٍ خاصّة هي طبقة البراهمة وبعض الطوائف الأخرى، ويتكلّف الوالي بإخراجِ الصدقة والخراج[25].

وبيّن البيروني رحمه الله أنَّ الضرائب والصدقات فرض على العامّةِ دونَ الخاصّة أي رجال الدين، ولكنَّ الهنود لا يتصدّقون في أداء هذهِ الضرائب ويتحايلون للتهرّب منها أو الانتقاص منْ قيمتها[26].

أمّا فيما يخصُ الرّبا، فهو مُحرّم عندهم، وإثمهُ يتناسب طرديًّا مع الزّيادة المترتّبة عليه[27].

وبعد البحث في موضوع الصدقة عند الهندوس يتبيّن أنَّ للصدقة أنواعًا ومبادئ، كما يأتي:

أنواع الصدقة:

1- **الصدقة المادّية الملموسة:** بتقديم المال أو الطعام أو الملابس أو أيّ شيء مادّي آخر للفُقراء والمُحتاجين.
2- **الصدقة غير المادّية غير الملموسة:** بتقديم الوقت أو المهارات أو المعرفة أو أيّ شيء غير مادّي آخر للفُقراء والمُحتاجين.
3- **الصدقة الفكريّة:** بنشر كل الأفكار الإيجابيّة وعدم نشر التشاؤم أو الطاقة السلبيّة بل الحديث عن التفاؤل ونشر المعرفة بين الناس.
4- **الصدقة الروحيّة:** بمشاركة المعرفة الروحيّة والمُساعدة على تعزيز النمو الروحي مع الآخرين سواء أكانوا أفرادًا أم جماعات.

أما مبادئ الصدقة عندهم كما تبيّن، هي:

1- **الإخلاص:** تُقدّم الصدقة بصدقٍ وإخلاص دون توقّع أيّ مقابل أو مصلحة شخصيّة، أي وجب عند الهندوس أنْ تكون النيّة صادقة وفيها إخلاص.

2- **السعادة:** تُقدّم الصدقة بفرحٍ وسعادة دون أيّ شعور بالضغط للتصدق أو الإجبار على التصدق على المُحتاجين.

3- **التواضع:** تُقدّم الصدقة بتواضعٍ دون التباهي أو التفاخر أمام الناس.

4- **المُداومة عليها:** تُقدّم الصدقة باستمرار والمواظبة عليها قدر الإمكان، حتى لو كانت بكميّاتٍ صغيرة أو قليلة.

5- **الوعي:** تُقدّم الصدقة بوعي تام بأهميةِ هذا الفعل، وتأثير ذلك على الآخرين في المُجتمع الهندوسي.

وكما يتضح ممّا سبق يتبيّن أنَّ الصدقة تعد ركيزة أساسية في الديانة الهندوسيّة، وهي جزء لا يتجزأ من حياة المؤمنين بالهندوسيّة. فمن خلال العطاء والتبرع، يسعى الهندوس إلى تحقيق التوازن الروحي والمادي، وخدمة المجتمع، والاقتراب من الإله. وعلى الرغم من تطور الممارسات والطقوس الهندوسيّة المرتبطة بالصدقة على مر العصور، إلا أن جوهرها يبقى هو نفسه: العطاء غير المشروط وتقديم الخدمة للآخرين.

المبحث الرابع
الحج في الديانة الهندوسيّة

إنَّ الحج في الهندوسيّة هو رحلة تطوعيّة اختياريّة مُهمّة جدًا في حياةِ كل هندوسي؛ إذ يقطعون المسافات الشاسعة لزيارةِ نهر الغانج[28]؛ للاغتسالِ فيهِ من أجلِ التطهّر من الخطايا والآثامِ أو لزيارةِ تمثال مُقدّس أو مدينة مُقدّسة[29].

وهو ليس فرضًا ملزمًا، وإنَّما هو تطوّع، وفضيلة، وهو أنْ يقصد الحاجّ إحدى البلاد أو أحد الأصنام المُعظّمة أو أحد الأنهار الطاهرة فيغتسل بها ويخدم الصنم ويكثر التسبيح والدعاء ويصوم ويتصدّق على البراهمةِ والسدنة وغيرهم ويحلق رأسه ولحيته وينصرف[30].

والمواضع المُعظّمة التي تُمثّل المصدر الرئيس للحياةِ الرّوحية في الهند مُتعدّدة، ومن بينها أنْ يقصد الهندوسي الأنهار المُقدّسة والحياض الطاهرة بُغية الاغتسال فيها والاستحمام لأهمية دينيّة، وتجدّر الإشارة إلى أنَّ اشتهار الحياض والأنهار بالفضيلة يكون إمّا باتفاق أمر جليل فيهما أو بنصٍّ واردٍ في الكتب والأخبار[31] وبالإضافة إلى الأنهارِ والحياض الطاهرة يقصد الحاجّ كذلك البلدان والأماكن المُعظّمة، حيث يعد بلد (بارانسي) قِبلة لأغلب الهندوسيين، وهي مدينة مُقدّسة يزورونها من أجلِ التطهّر ومحو الذنوب[32].

وقدسيّة هذه المدينة إنَّما تعود بالأساس إلى كونها مُعظّمة بأمرٍ شرعي ديني وليس كغيرها من البقاعِ الأخرى التي تُعظّم باتفاق أمر جليل فيها، ويبدو هذا جليًّا في قول البيروني رحمه الله: "وللهند مواضع تُعظّم من جهة الديانة مثل بلد (بارانسي)، فإنَّ زهّادهم يقصدونها ويلزمونها لزوم مجاوري الكعبة في مكّة، ويحرصون على أنْ تأتيهم فيه آجالهم لتكون عقباهم بعد الموت خيرًا، ويقولون إنَّ سافك الدم مأخوذ بذنبه مُكافأ عليه، إلا أنْ يدخل بارانسي فينال فيها العفو والغفران"[33].

ويعدُّ الحجُّ مُمارسةً كونيّة قديمة جدًا بينَ الأمم، عرفهُ الهنودُ في الأزمنةِ القديمة والغاية منهُ هو التوجّه إلى نهري (الكنج، وبراهما بوترا) والينابيع المُقدّسة حسب اعتقاد الهندوسي[34].

ويؤدّي الهندوس مناسك حجّهم في أعيادهم السنويّة، كغيرها من الأممِ، وكانوا وما زالوا يمرحون مرحًا عظيمًا في الأعياد الدينيّة الكثيرة[35]، ويرتدي ذكورهم ملابس النساء ويتحلّون بحليهنَّ، وخواتيم الذهب التي توضعُ في البناصر، كما أنّهم يستشيرون النساءَ في بعض الآراء[36].

وبعض هذهِ الأعياد يُصاحبها حجٌّ إلى معبدٍ أو ضريحٍ أو هيكلٍ مُعيّن أو إلى نهرٍ من الأنهارِ المُقدّسة حسبَ زعمهم[37].

ومن آداب الحج لديهم:

1- على الهندوسيّ أنْ يترك الأهل والأقارب، ولا يتّصل بهم مدّة حجّهِ أبدًا ولا يُفكّر فيهم.

2- أمّا ما يخصُّ الميقات وهو مسافة كيلومتر من بيتهِ، فعليه أنْ يتخلّى عن لباسهِ، فيغتسل ويختار لباس الإحرام، وهو قميصٌ طويل وإزار بلون أصفر، ويأخذ عصا من القصبِ الهندي، ويُعلّق عليه نوعًا خاصًّا من الآنيّة للماء، ويُمجّد الهندوس ربهم في حجهم بالشكر له على ما وهبهم من نعمٍ كثيرة قائلين: (هاري كريشنا هاري راما)[38] داعين إياه بالحماية والعطاء؛ إذ يخرجون مُرتّلين الورد الخاص، وهو (هاري كرشنا هاري راما) والنص الهندي لها: ਹੈਰੀ ਕ੍ਰਿਸ਼ਨ ਹੈਰੀ ਰਾਮ [39].

ومن الأفضل أنْ يمشي على قدميه. وهو واجب على البرهمي، وتطوّع على غيرهِ[40].

يبلغ عدد أماكن الحجّ المُقدّسة في الديانة الهندوسيّة أكثر من مائتين إلا أنَّ بعضها حازَ أهميّة دينيّة عظمى لقرونٍ من الزمن؛ إذ إنَّ الحجّ في الهند يعودُ إلى ما قبل التاريخ الهندي أو ما قبل الآريين؛ إذ كانت مُمارسة الاغتسال في نهرِ الكنج تعدُّ نوعًا من طقوسِ التطهير. ويحرصُ الهندوس على السباحة في الناحيّةِ الشماليّةِ من نهرِ (الكنج)؛ إذ الاغتسال فيه كفارةٌ للذنوب –حسب زعمهم- ومنْ أعظم الحسنات والقربات، ويؤثرون الموت في هذهِ المدينة، وتُنقل إليها جثث الموتى من النواحي البعيدة لتحرق هناك أو تُترك في النهرِ على اختلاف العقائد والعادات لدى الطوائف الهنديّة[41].

كذلك يتوجّه الهندوس إلى مدينةِ (هردوار)، ومعناه باب المعبود، أو باب الإله، وهي مدينة هنديّة تقع على نهرِ الكنج، وهي مُقدّسة عند الهندوس، يحجّ إليها كلّ عام أكثر منْ مليوني شخص للاغتسالِ بميّاهِ هذا النهر، يرقى تاريخها إلى أقدم العصور[42].

ينتج ممّا سبق أنَّ للحج مكانة عظيمة في الديانة الهندوسيّة وله طقوس خاصّة، ومنها:

1- **الاغتسال في الأنهار المُقدّسة:** يُعدّ الاغتسال في الأنهار المُقدّسة عند الهندوس، لا سيما في نهر الكنج، من أهم طقوس الحج في مُعتقدهم.

2- **الذهاب لزيارة المعابد:** تُقام الصلوات وتقدمة القرابين عند الهندوس أثناء زيارتهم للمعابد المُقدّسة وهي كثيرة عندهم.

3- **التأمّل:** يُمارس التأمّل في الأماكن الهادئة في المُعتقد الهندوسي، مثل على ضفاف الأنهار أو في جبال الهمالايا كون هذهِ الأماكن هادئةً وبعيدة عن ضجيج المدن وكثرة السكان فيها.

4- **التبرّع:** يُقدّم المُمارسون تبرعات للفُقراء والمُحتاجين أو للمعابد المُقدّسة عندهم.

وفي الختام يعد التنوع في الأماكن المقدسة من التطورات الطقوسية في الحج الهندوسي على مر العصور، حيث تتنوع الأماكن المقدسة في الهندوسيّة، وتشمل المعابد والأنهار والجبال والغابات وغيرها. ولكل مكان مقدس أهميته وطقوسه الخاصّة المرتبطة به.

الخاتمة:

إنَّ أهم نتائج البحث هي:

1- فهم أعمق للديانة الهندوسيّة، حيث أنَّ العبادات تعد جزءًا أساسيًّا من هذا الدين القديم.

2- إلقاء الضوء على التنوع الثقافي والديني في بلاد الهند، حيث أنَّ الديانة الهندوسيّة هي الديانة الأكثر انتشارًا في الهند.

3- رغم التنوّع الهائل في العبادات الهندوسيّة، إلا أنّها جميعها تتجه نحو هدف واحد، وهو تحقيق الوحدة مع الكون والمؤلّه المعبود في معتقدهم.

4- العبادات الهندوسيّة لا تقتصر على المعابد والطقوس، بل تتجسّد في كل جوانب الحياة اليوميّة للمؤمنين، من الطعام والشراب إلى الزواج والموت.

5- العبادات الهندوسيّة ليست جامدة، بل تتطوّر وتتغيّر باستمرار مع تغيّر الزمان والمكان، فالكهنة الهندوس كانوا يضيفون طقوس خاصّة لهذه العبادات على مر السنين.

6- العبادات الهندوسيّة تلعب دورًا حاسمًا في الحفاظ على الهوية الثقافيّة والاجتماعيّة للمجتمع الهندوسي.

أما أهم التوصيات، فهي كما يأتي:

1- ضرورة التعاون بين الباحثين من مختلف التخصصات؛ لدراسة ظاهرة معقدة مثل العبادات الهندوسيّة.

2- أهمية إجراء الدراسات الميدانيّة؛ لملاحظة الممارسات التعبديّة بشكلٍ مباشر وفهم سياقها الثقافي والاجتماعي.

3- الحاجة إلى دراسة العبادات الهندوسيّة في سياقها التاريخي؛ لفهم التطوّر الذي طرأ عليها عبر الزمن.

قائمة المصادروالمراجع

أولًا: المصادروالمراجع باللغة العربية:

1- الأب صبري المقدسي, الموجز في المذاهب والأديان, مطبعة ميديا، أربيل- العراق, ط1, (2007م).

2- أبو الحسن علي بن الحسن الندوي, الأركان الأربعة, ط3, (1389ه), دار القلم, الكويت.

3- أبو الريحان البيروني, تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط2، (1983م).

4- إعداد جامعة المدينة العالميّة, الأديان الوضعية, ماليزيا, (2010م).

5- إعداد: قسم الدراسات التاريخيّة في المركز الثقافي الحديث للطباعة والنشر, موسوعة الأديان مهد الحضارات– منشأ الديانات الهنديّة, المركز الثقافي الحديث للطباعة والنشر, بيروت- لبنان, ط1, (2005م).

6- أندريه لالاند, موسوعة لالاند الفلسفيّة، (بلا- ت).

7- جلال العروسي وآخرون, الموسوعة العربيّة المُيسّرة, دار النهضة, بيروت- لبنان, (1417هـ-1987م).

8- د. أسعد السحمراني, ترجمان الأديان, دار النفائس, بيروت- لبنان, ط1, (1430هـ-2009م).

9- د. إمام عبد الفتاح إمام, مُعجم ديانات وأساطير العالم, مكتبة مدبولي, القاهرة- مصر, (بلا- ت).
10- د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي, دراسات في اليهوديّة والمسيحيّة وأديان الهند, مكتبة الرشد, السعوديّة, ط2, (2003م).
11- د. محمد ضياء عبد الرحمن الأعظمي, فصول في أديان الهند, دار البخاري, المدينة المنورة, ط1, (1997م).
12- د. محمود محمد مزروعة, دراسات في الهندوسية, دار اليسر, القاهرة, مصر, ط1, (2017م).
13- علي محسن عيسى مال الله، أدب الرحلات عند العرب في المشرق، مطبعة الرشاد، بغداد, (1978م).
14- كمال الدين الطائي من هدي الجمعة، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد, (1394هـ-1974م).
15- محمّد الهواري الصوم في اليهوديّة: دراسة مقارنة, دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة- مصر، ط1، (1988م).
16- مُنير البعلبكي, موسوعة المورد, دار العلم للملايين, بيروت- لبنان، ط (1981م), وط2, (1995م).
17- هدى درويش, الصّلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماويّة، عين للدراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، لبنان ط1، (2006م).

ثانيًا: المصادر والمراجع باللغة الإنكليزيّة:

1- Constance A. Jones and James D. Ryan ,Encyclopedia of Hinduism ، Facts On File، 2007.
2- Richard Frye: "The contribution of Iranians to Islamic mathematics is overwhelming...The name of Abu Raihan Al-Biruni, from Khwarazm, must be mentioned since he was one of the greatest scientists in World History"(R.N. Frye, "The Golden age of Persia", 2000, Phoenix Press.

ثالثًا: البحوث والمقالات:

1- بحث منشور على النت بعنوان: مهرجان الحج الهندوسي- الأسطورة في طقس (كومبه ميلا)، الأستاذة: خولة مرتضوي، مجلة الربيئة- مجلَّةٌ رقميةٌ تصدُر عن نادي الرَّقيم العلمي المُتفرّع عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العدد12، (2019م).

الهوامش:

(1) د. محمود محمد مزروعة, دراسات في الهندوسية, دار اليسر, القاهرة, مصر, ط1, (2017م), ص237.

(2) البيروني رحمه الله: ولد أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني سنة (973م) وتوفي سنة (1048م)، كان رحّالةً وفيلسوفًا وفلكيًّا وجغرافيًّا وجيولوجيًّا ورياضياتيًّا وصيدلانيًّا ومؤرّخًا ومُترجمًا. وصف بأنَّه من بين أعظم العقول التي عرفتها الثقافة الإسلاميّة، وقد قال بدوران الأرض حوّل محورها في كتابهِ: مفتاح علم الفلك، كما صنّف كتبًا تربو عن المائة والعشرين منها: كتاب: (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) تعد من أهم كتبه في تاريخ الهند؛ لدقة وصفه للإنسان الهندي المتبع للديانة الهندوسيّة. ينظر:
from ,Richard Frye: "The contribution of Iranians to Islamic mathematics is overwhelming...The name of Abu Raihan Al-Biruni Khwarazm, must be mentioned since he was one of the greatest scientists in World History"(R.N. Frye, "The Golden age of Persia", 2000, Phoenix Press. p 162.

(3) أبو الريحان البيروني, تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط2، (1983م)، ص455.

(4) د. أسعد السحمراني, ترجمان الأديان, دار النفائس, بيروت- لبنان, ط1, (1430هـ-2009م), ص74.

[5] ينظر: المصدر نفسه، ص74.

[6] إعداد جامعة المدينة العالميّة, الأديان الوضعية, ماليزيا, (2010م), ص132.

[7] ينظر: المصدر نفسه، ص149

[8] Constance A. Jones and James D. Ryan ,Encyclopedia of Hinduism, Facts On File, 2007, p 419.

[9] ينظر: بتصرف يسير، البيروني, تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص455.

[10] ينظر: د. أسعد السحمراني, ترجمان الأديان، ص75. وينظر: بتصرف يسير، هدى درويش, الصّلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماويّة، عين للدراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، لبنان ط1، (2006م)، ص23.

[11] د. أسعد السحمراني، ترجمان الأديان، ص75.

[12] د. محمد ضياء عبد الرحمن الأعظمي, فصول في أديان الهند, دار البخاري, المدينة المنورة, ط1, (1997م)، ص96.

[13] ينظر: المصدر نفسه، ص96.

[14] إعداد جامعة المدينة العالميّة, الأديان الوضعيّة، ص148.

[15] Constance A. Jones and James D. Ryan ,Encyclopedia of Hinduism, p 409.

[16] محمّد الهواري الصوم في اليهوديّة: دراسة مقارنة, دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة- مصر، ط1، (1988م)، ص6.

[17] ينظر: البيروني, تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة, ص481.

[18] كرشنا: إنَّ كلمة كرشنا تدلُّ حرفيًا على (الأسود) أو (الداكن) ممّا يدلُّ على أنه كان إلهًا للهنود الأصليين المائلين إلى السواد. وتلعب مُغامراته الشهوانيّة مع راعيّات البقر دورًا هامًّا في الأسطورةِ وفي الأدب الديني في العصور الوسطى. ينظر: د. إمام عبد الفتاح إمام, مُعجم ديانات وأساطير العالم, مكتبة مدبولي, القاهرة- مصر, (بلا- ت)، 280/2.

[19] د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي, فصول في أديان الهند, ص98.

[20] ينظر: البيروني, تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة, ص481.

[21] أندريه لالاند, موسوعة لالاند الفلسفيّة، (بلا- ت)، ص168.

[22] البيروني, تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص466.

[23] الأب صبري المقدسي, الموجز في المذاهب والأديان, مطبعة ميديا، أربيل- العراق, ط1, (2007م), 45/1.

[24] د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي, دراسات في اليهوديّة والمسيحيّة وأديان الهند, مكتبة الرشد, السعوديّة, ط2, (2003م), ص608-609.

[25] البيروني, تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص466.

[26] ينظر: المصدر نفسه، ص467.

[27] ينظر: المصدر نفسه، ص467 .

[28] لا يُمكننا أنْ نغفل الحديث عن نهرِ الغانج لأنَّهُ أقدس الأنهار الهندوسيّة. يدعوه المُتعبّدون الهندوسيّون (غانجا ما) أي (الأم غانجا) ولديهم صلاة خاصّة للنهر ممّا يُبيّن على قدسيتهِ العظيمة لديهم. ينظر: بتصرف يسير، إعداد: قسم الدراسات التاريخيّة في المركز الثقافي الحديث للطباعة والنشر, موسوعة الأديان مهد الحضارات– منشأ الديانات الهنديّة, المركز الثقافي الحديث للطباعة والنشر, بيروت- لبنان, ط1, (2005م)، 40/2.

[29] ينظر: بتصرف يسير، الأب صبري المقدسي, الموجز في المذاهب والأديان، 39/1.

[30] إعداد: جامعة المدينة العالميّة, الأديان الوضعيّة، ص147.

[31] ينظر: إعداد: جامعة المدينة العالميّة, الأديان الوضعيّة، ص147- 148.

[32] ينظر: بتصرف يسير، المصدر نفسه، ص147- 148.

[33] المصدر نفسه، ص147- 148.

[34] ينظر: بتصرف يسير، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دراسات في اليهوديّة والمسيحيّة وأديان الهند، ص606-607.

[35] ينظر: جلال العروسي وآخرون, الموسوعة العربيّة المُيسّرة, دار النهضة, بيروت- لبنان, (1417هـ-1987م) ، ص49-50.

[36] ينظر: كمال الدين الطائي من هدي الجمعة، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد, (1394هـ-1974م)، ص221.

[37] ينظر: علي محسن عيسى مال الله، أدب الرحلات عند العرب في المشرق، مطبعة الرشاد، بغداد, (1978م)، ص190.

[38] ومعناها: أيتها الرادها، يا طاقة متعة الإله، أتضرع إليكِ أنْ تمنحيني نعمتكِ وأنْ تشغليني بخدمة محبة الإله، أما الرادها فهي شخصيّة أسطوريّة هنديّة مُحاطة بهالة من الغموض، ويقال إنَّها شاعرة وراقصة، لذا أصبح الرقص من بين يديها سمة أنثربولوجيّة رمزيّة في خيال الهنود، وهي كذلك صديقة كريشنا وحبيبته ولذلك مُنحت مكانًا في هيكل الآلهة أيضًا. ينظر: بحث منشور على النت بعنوان: مهرجان الحج الهندوسي- الأسطورة في طقس (كومبه ميلا)، الأستاذة: خولة مرتضوي، مجلة الربيئة- مجلَّةٌ رقميةٌ تصدُر عن نادي الرَّقيم العلمي المُتفرّع عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العدد12، (2019م).

[39] ينظر: بتصرف يسير، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دراسات في اليهوديّة والمسيحيّة وأديان الهند، ص606-607.

[40] د. أسعد السحمراني ترجمان الأديان، ص99.

[41] ينظر: أبو الحسن علي بن الحسن الندوي, الأركان الأربعة, ط3, (1389هـ), دار القلم, الكويت، ص285-286.

[42] ينظر: مُنير البعلبكي, موسوعة المورد, دار العلم للملايين, بيروت- لبنان، ط (1981م), وط2, (1995م), 72/5. وينظر: الأركان الأربعة، الندوي، ص286.